فقر اذا ايا اليه من حيث هو ربه وخالقه ورازقه ومدبره فكلما كان محبوبه تمكنت محبة
الله من القلب وقويت فيه اخرجت منه تالهه لما سواه وعبوديته له ، فاصبح حرا
عزة وصيانة ، على وجهه انواره وضياؤه ، ومامن مومن الا وفي قلبه محبة لله
وطمانينة بذكره ونعم بمعرفته ولذة وسرور بذكره وشوق الى لقايه والانس بقربه وان لم يحس
به لاشتغال قلبه بغيره وانصرافه الى ما هو مشغول به فوجوده الشيء غير الاحساس و
الشعور به وقوة ذلك وضعفه وزيادته ونقصانه هو بحسب قوة الايمان وضعفه وزيا
دته ونقصانه وحتى لم يكن الله وحده غاية مراد العبد ونهاية مقصوده وهو
المحبوب لذاته بالذات والقصد الاول وكل ما سواه فانما يحبه ويريده ويطلبه تبعا
لاجله لم يكن قد حقق شهادة ان لا اله الا الله وما كان فيه من النقص والعيب والشر فلم
من موجبات ذلك من الالم والحسرة والعذاب بحسب ما فاته من ذلك ولو سعى في هذا المطلوب بكل
طريق واستفتح من كل باب ولم يكن مستعينا بالله متوكلا عليه مفتقرا اليه في حصوله متيقنا
انه انما يحصل بتوفيقه ومشيئته واعانته لا طريق له سوى ذلك بوجه من الوجوه لم يحصل
له مطلوبه فانه ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن فلا يوصل اليه سواه ولا يدل عليه سواه ولا
يعبد الا باعانته ولا بطاع الا بمشيئته لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله
رب العالمين واذا عرف هذا فالعبد في حال معصيته واشتغاله عنه بشهوته ولذته تكون تلك
اللذة والحلاوة الايمانية قد استترت وتوارت ونقصت واذهبت فانها لو كانت موجودة
كاملة لما قدم عليها لذة وشهوة لانسبة بينها وبينها بوجه ما بل هي اذن من حبة خردل
بالنسبة الى الدنيا وما فيها ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو
مومن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مومن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مومن
فان ذوق حقيقة الايمان ومباشرته لقلبه يمنعه ان يوثر عليه ذلك القدر الخسيس
وينهاه عما يشغله وينقصه ولهذا تجد العبد اذا كان مخلصا لربه منيبا اليه مطمئنا بذ
كره مشتاقا الى لقايه تجد قلبه منصرفا عن هذه المحرمات لا يلتفت اليها ولا يعول عليها
ويرى استبداله بها عما هو فيه كاستبدال البعر الخسيس بالجوهر النفيس وبيعه الذ
هب باعقاب الجزر وبيعه المسك بالزجيج ولا ريب ان في النفوس البشرية من هوى
بهذه المثابه انما يصبو الى ما يناسبه ويميل الى ما يشاكله وينفر من المطالب العالية واللذا
الكاملة كما ينفر الجعل من رايحة الورد وشاهد هذا من يمسك بانفه عند وجود رايحة
المسك ويتكره بها لما ينال به من المضرة ثم خلق للعمل في الدباغة لا يجيء منه العمل في صناعة

الطيب

المسك

الطيب ولا يليق به ولا يناسبه منه والنفس لا تترك محبوبا الا لمحبوب هو احب اليها منه
او للمخوف من مكروه هو اشق عليها من فوات ذلك المحبوب فالذنب يعدم المقتضي
له تارة لاشتغال القلب بما هو احب اليه منه ولوجود المانع تارة من خوف فوات محبوب
هو احب اليه منه فالاول حال من حصل له ذوق حلاوة الايمان وحقايقه والتمع به ما
عوض قلبه عن ميله الى الذنوب والثاني حال من عنده داع وارادة لها وعنده ايمان و
تصديق بوعد الله ووعيده فهو يخاف ان واقعها ان يقع فيما هو اكره اليه واشق عليه
فالاول للنفوس المطمينة الى ربها والثاني لاهل الجهاد والصبر وهاتان النفسان هما
المخصوصتان بالسعادة والفلاح قال تعالى في النفس الاولى يا ايتها النفس المطمينة ارجعي الى
ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقال في الثانية ثم ان ربك للذين
هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فالنفوس
ثلاثة مطمينة الى ربها وهي اشرف النفوس وازكاها ونفس مجاهدة صابرة ونفس مفتونة
بالشهوات والتوى وهي النفس الشقية التي حظها الالم والعذاب والبعد عن الله
والحجاب

فصل في بيان كيد الشيطان لنفسه قبل كيده للابوين ثم لم

ذكر كيد الشيطان لنفسه قبل كيده للابوين

يقتصر على ذكر حتى كاد ذرية نفسه وذرية ادم فكان مشوما على نفسه وعلى ذريته
واوليايه واهل طاعته من الجن والانس اما كيده لنفسه فان الله سبحانه لما امره بالسجود
لادم كان في امتثال امره وطاعته سعادته وفلاحه وعزه ونجاته فسولت له نفسه الجاهلة
الظالمة ان في سجوده لادم غضاضة عليه وهضما لنفسه اذ يخضع ويقع ساجدا
لمن خلق من طين وهو مخلوق من نار والنار بزعمه اشرف من الطين فالمخلوق منها
خير من المخلوق منه وخضوع الافضل لمن هو دونه غضاضة عليه وهضم لمنز
لته فلما قام بقلبه هذا الهوس وقارنه الحسد لادم لما راى ربه سبحانه قد خصه به من
انواع الكرامة فانه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملايكته وعلمه اسماء كل شيء
وميزه بذلك عن الملايكة واسكنه جنته فبلغ الحسد من عدو الله كل مبلغ وكان عدو الله
يطيف به وهو صلصال كالفخار فيجيء منه ويقول لامر عظيم قد خلق هذا ولئن سلط
علي لاعصينه ولئن سلطت عليه لاهلكنه فلما تم خلق ادم في احسن تقويم واكمل صور
واجلها وكملت محاسنه الباطنة بالعلم والحلم والوقار وتولى سبحانه خلقه بيده فجا
في احسن مخلوق خلق وتم صوره طوله في السماء ستون ذراعا قد البس رداء الجمال و
الحسن والمهابة والبهاء فرات الملايكة منظرا لم يشاهدوا احسن منه ولا اجمل فوقعوا
كلهم سجدا له بامر ربهم تبارك وتعالى فتق الحسد في قميصه من دبر واشتعلت في قلبه نيران الحسد